الذات الإنسانية في القرآن الكريم ـ مفهومها وأبعادها ـ

د. بدور الفاضل الشيخ عبد الكريم
الكلية العليا للقرآن الكريم

خلاصة

على الرغم من الأهمية البالغة التي حظي بها موضوع الذات الإنسانية في الحقل التربوي والنفسي الحديث والمعاصر ، وسعي كثير من المربين والفلاسفة إلى تحديد الآليات التي تكوّن عناصر الكائن الإنساني الظاهرة منها والباطنة ، نجد أن الاهتمام العلمي والفلسفي على اختلاف التوجهات النظرية والأيديولوجية لم يكن اهتمامًا متجانسًا . فقد تباين في تفسير طبيعة الذات الإنسانية ومفهومها فمنهم من تناولها بمفهوم النفس وعرفها على أساس تركيبي أو على أساس وظيفي ، ومنهم من تناولها بمفهوم الشخصية ، الشيء الذي يفسر حقيقتين مهمتين هما : صعوبة ضبط السلوك البشري ، واستحالة وضع تفسير واحد وموحد للذات الإنسانية التي تتداخل فيها مجموعة معطيات بيولوجية وفسيولوجية وعقلية وغيرها من آليات التشكيل الإنساني .

إن محاولة فهم الذات الإنسانية وتحديد أبعادها بمعزل عن التصور القرآني للذات الإنسانية سيؤدي حتماً إلى تشكيلها وصياغتها بمضامين متباينة ومتغايرة ، وسيجعلها تأخذ مسلكا وأنماطًا متباينة ، وفقاً لاختلاف الرؤية أو التصورات الأيديولوجية الأمر الذي يوقع الإنسان في كثير من الأخطاء ، فالجذور القرآنية تمثل أساس علم النفس الإسلامي الأصيل ، أصالة الروح والنفس في البدن ووجودها..

وأن الله عز وجل قد اعتنى في كتابه المجيد عناية تامة بالذات الإنسانية مبيناً وموضحاً ما يكتنفها من غموض ، كما حث القرآن الكريم الإنسان على التفكير في ذاته ودراستها ومعرفة أسرارها .

تأتي هذه الدراسة في محاولة للكشف عن الذات الإنسانية في القرآن الكريم من حيث مفهومها وأبعادها ، وحددت الباحثة مشكلة الدراسة بالأسئلة التالية :

١. هل توجد فروق جوهرية بين مفهوم كل من النفس و الروح في القران الكريم ؟
٢. ما أبعاد الذات في القرآن الكريم ؟
٣. ما التصور القرآني للذات الإنسانية ؟

وللإجابة على تساؤلات الدراسة اتبعت الباحثة المنهج الاستنباطي في محاولة لاستخلاص مفهوم الذات وأبعادها من بعض آيات القرآن الكريم وتشير نتائج الدراسة إلى وجود فروق جوهرية بين مفهوم كل من النفس و الروح في القرآن الكريم حيث يفرق القرآن الكريم بين النفس و الروح ، فليستا مترا دفتين . وقد وردت الروح في القرآن الكريم بمعني السر الإلهي . فالروح هي من أمر الله تعالى ولا أحد سواه يعرف كنهها ، كما وردت في القرآن بمعني أمين الوحي ، و أن استخدام كلمة النفس في القرآن الكريم لا تعني الروح بل تعني الشخصية الإنسانية وهذا التوجه أو التحليل الأخير هو بمثابة المدخل الأول إلى علم الشخصية الإنسانية أو علم النفس ، وحينما نتدبر سياق النفس في القرآن الكريم نلاحظ أنها تعني الذات

بصفة عامة أي بعنصريها المادي والروحي ، فالنفس ليست مرادفة للروح التي هي سر الحياة . وأن الروح تمتزج إمتزاجاً كاملاً بالجسد فتكون النفس الآدمية .

يحدد القرآن الكريم الذات الإنسانية بأربعة أبعاد هي :- الجسم، العقل، الروح، والنفس ، أما الذات الإنسانية من حيث تكوينها فهي كائن من تراب يستمر توالده من ماء مهين ليملك عقلاً وسمعاً وبصراً وبدناً ويكون أهلا لكي تسكن الروح (مادة وروح) ، ويبصر القرآن الكريم الإنسان بذاته في قوامها وتركيبه الإنساني ، يحدد مفهومها بعمق ويشرح ويفسر أبعادها : فخلقُه من قبضة من طين يمثل الجانب المادي ، أما الجانب الروحاني للإنسان (نفخة من روح الله تعالى) فيتمثل في كل المعنويات التي يمارسها في حياته كسلوكيات روحانية معنوية غير مادية أي لا تدركها الحواس ولكن يستدل عليها من آثارها في الواقع المحسوس ليبقى الإنسان في التصور الإسلامي هو ذلك الكائن الاجتماعي المكون من جسد وظائفي وعقل تمييزي وحشد من العواطف والأحاسيس والرغبات المشروطة بأخلاقيات فاضلة ومعرفة بالذات والله تعالى والكون عامة.

إننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بدراسة الذات الإنسانية ، بهدف معرفة المفاهيم الإسلامية النفسية وفهمها فهما صحيحا بحيث نجمع بين دقة البحث العلمي الأصيل، والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الذات الإنسانية ، وفي علم النفس الإسلامي دعوة صادقة إلى التعمق في طبيعة الذات الإنسانية دورها ووظيفتها .

تمهيد:

لم يكتب لعلم النفس أن يأخذ حظه وينمو ويترعرع أو ينصهر في بوتقة العلوم الإسلامية لزمن طويل وقرون عديدة كما أخذت بعض العلوم كالفلسفة والفقه والرياضيات وعلم الفلك.. حظها من التوجه والإمعان خلال النهضة العلمية في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادي، في الوقت الذي كان فيه علماء المسلمين على قدر كبير من القدرات والمواهب المتعددة . فقد جمعوا وترجموا العلوم على اختلافها دون الاقتصار على علم معين واحد ، وعلى الرغم من أن علم النفس هو أحد العلوم القرآنية الواضحة المعالم بأكثر من ٧٠% من مجمل التوجهات العلمية في القرآن. وأمام هذا التوسع الهائل لعلم النفس وضرورته اليومية لابد لنا من النظر إلى ما في ذخيرتنا القرآنية والإسلامية والتاريخية من نظريات وتحليلات نفسية وسلوكية (١٣)

ولم يكن علم النفس يوماً وليد النهضة الأوربية كما يقال، كما لم يكن على الإطلاق أحد إفرازات الحضارة الغربية، ولكن شاء الكثير من الباحثين في علم النفس أن يتركوا أو يتناسوا التاريخ والغور في معالم النفس البشرية ولربما مالوا كل الميل ولا نقول بانحيازهم كل الانحياز إلى ما كتب حديثاً وتسهلت طباعته وتيسر نشره ، ولم تكن تهمهم تلك الجذور النفسية الموجودة في الفكر القرآني التي تأصلت لتربى الإنسان على أن يستطيع معالجة وفهم نفسه وبدوافع ذاتية.

كما لم يكن يهمهم الرجوع إلى الجذور القرآنية التي تمثل أساس علم النفس الإسلامي الأصيل ، أصالة الروح والنفس في البدن ووجودها.. ولا غرو إذا وجدنا أن الله جل وعلا قد اعتنى في كتابه المجيد كل تلك العناية بالذات الإنسانية مبيناً مفهومها ومدلولاتها وموضحاً ما يكتنفها من غموض ، والحقيقة أنّ تراجع علم النفس القرآني في كتابات وتفاسير الأولين لم يكن متأتياً من قصور في علم النفس ذاته أو علاجه بل كان لقصور في أقلام المفسرين وباعهم الذي غالباً ما يقتصر على الفهم اللغوي والسرد التاريخي للعلوم القرآنية من دون تحليل. (١٢) وفي علم النفس الإسلامي دعوة صادقة إلى التعمق في طبيعة الإنسان البشري : دوره و وظيفته في الحياة الدنيا ومن هنا وجب على دارس العلوم الإنسانية على وجه العموم وعلم النفس على وجه الخصوص أن يتفهم الطبيعة الإنسانية للنفس البشرية ، حتى تنطلق دراساته عن فهم واقعي وصحيح وشامل للنفس البشرية . (٧) ويحظى موضوع الذات الإنسانية بأهمية بالغة في الحقل التربوي الحديث والمعاصر. فقد سعى كثير من المربين والفلاسفة إلى تحديد الآليات التي تكوّن عناصر الكائن الإنساني الظاهرة منها والباطنة. وقد كان هاجس تفسير طبيعة الذات الإنسانية ومفهومها موضوعًا للدراسة من قبل العلوم النفسية والاجتماعية والأنثربولوجية. فمنهم من تناولها بمفهوم النفس ومنهم من تناولها بمفهوم الشخصية، علي أنها :مجموعة السمات البدنية والروحية التي تظهر في المهارات الحياتية لإنسان بعينه وتميزه عن غيره ، : ويرجع الاهتمام بالشخصية إلى الواقع العالمي؛ حيث أصبح الإنسان يعيش غريبًا معزولاً

عن أعماق ذاته، ويحيا مقهورًا من أجل الوسط المادي الذي يعيش فيه. غير أن الاهتمام العلمي والفلسفي على اختلاف التوجهات النظرية والأيديولوجية لم يكن اهتمامًا متجانسًا. الشيء الذي يفسر حقيقتين مهمتين هما : صعوبة ضبط السلوك البشري، ثم استحالة وضع تفسير واحد وموحد للظاهرة الإنسانية التي تتداخل فيها مجموعة معطيات بيولوجية وفيزيولوجية وعقلية وغيرها من آليات التشكيل الإنساني. (١٩)

أهمية الدراسة والحاجة إليها :

إن عملية فهم بناء الذات الإسلامية مهما كان حجمها إذا لم يسبقها تحديد علمي دقيق لمفهومها ، وكيفية تحقيقها، يكون مجرد عبث، ومضيعة للوقت، وإهدارًا للطاقات. ومن هنا وانطلاقًا من عدم جواز العبثية على الله حدد سبحانه وتعالى المنهج الإسلامي الواضح لبناء الذات الإنسانية والتحديد الدقيق لمفهومها حتى تقوم بدورها وتحقق هدفها بكل وعي والتزام ووضوح. إن الذات الإنسانية قد تم تشكيلها وصياغتها بمضامين متباينة ومتغايرة، تجعلها تأخذ مسلكا وأنماطًا متباينة ، وفقاً لاختلاف الرؤية أو التصورات الأيديولوجية ، ولا شك أننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بدراسة الذات الإنسانية ، بهدف معرفة المفاهيم الإسلامية النفسية فهما صحيحا بحيث نجمع بين دقة البحث العلمي الأصيل، والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الذات الإنسانية، وهي حقائق يقينية لأنها صدرت عن الله تعالى خالق الإنسان ، و يلاحظ أن الكثير من الدراسات التي تصدت للذات الإنسانية

قد ركزت على بعض جوانب الشخصية والقليل الذي في حكم النادر من الدراسات قد تنبهت لدراسة طبيعة الاختلاف بين الروح والنفس لذا تأتي هذه الدراسة في محاولة للكشف عن الذات الإنسانية مفهومها وأبعادها لسد النقص في هذا المجال وفتح الطريق لدراسات لاحقة ، وحيث لم تجر أي دراسة حتى الآن (حسب علم الباحثة) فإن هذه الدراسة تشكل إسهاماً في تشخيص أبعاد الذات الإنسانية ، وهذا يؤكد أهميتها . وتنبع أهمية هذه الدراسة أيضاً من أهمية الموضوع الذي تتناوله كونها تتناول الذات الإنسانية من منظور قرآني وعلاقتها بكل من الجسم و العقل و الروح والنفس ، ومن المسلم به أن الأعلم بالشيء صانعُه وموجدُه ، وخالق الناس هو الله سبحانه وتعالى وهو الذي يعلم كل شيء عن الإنسان قال تعالى﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك :١٤) وكفى بعلمه سبحانه وتعالى . (١٧)

مشكلة الدراسة :

تتحدد مشكلة الدراسة بالأسئلة التالية :

١. هل توجد فروق جوهرية بين مفهوم كل من النفس و الروح في القران الكريم ؟
٢. ما أبعاد الذات في القرآن الكريم ؟
٣. ما التصور القرآني للذات الإنسانية ؟

منهج الدراسة :

وللإجابة على سؤال الدراسة وما تفرع منه من أسئلة قد اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الاستنباطي وهو "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"(١٣). وقد استخدمت الدراسة هذا المنهج في محاولة لاستخلاص مفهوم الذات وأبعادها من بعض آيات القرآن الكريم

المبحث الأول :
الروح و النفس والشخصية في القرآن الكريم :

أولاً : مفهوم الروح

إن علماءنا السابقين نَحَوا بأبحاثهم نحواً بعيداً عن هذا المجال لظنهم بأن الروح والنفس من الأمور الإلهية التي ليس للإنسان الخوض فيها منسجمين في ذلك و معتقدين ومؤمنين بتفسير الآية الكريمة ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة: الإسراء – الأية: ٨٥) و لربما يحرم البعض منهم الحديث عنها أو الغور في دواخلها لما قد يعد ذلك نوعاً من المساس بالحالة الشخصية الذاتية للإنسان. كما يكره البعض منهم الدخول في أعماقها لاعتبار أن ذلك يعد نوعاً من الغيبة والنميمة التي حرمها الله تعالى . على الرغم مما يؤكد عليه بعض الباحثين من أن استخدام كلمة النفس في القرآن الكريم لا تعني الروح بل تعني الشخصية الإنسانية وهذا التوجه أو التحليل الأخير هو بمثابة المدخل الأول إلى علم الشخصية الإنسانية أو علم النفس الحديث حالياً كما جرت العادة على ترجمته واستخدامه. ويفرق القرآن الكريم بين النفس و الروح ،فليستا مترا دفتين، فالروح وردت في القرآن إحدى وعشرين مرة [٥] منها ما يعني أمين الوحي لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء : ١٩٢– ١٩٥) ولقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل : ١٠٢)

كما تأتي الروح بمعنى السر الإلهي الذي تصير به المادة الآدمية (قبضة من طين) كائناً حياً بأمر الله تعالى . ففي خلق آدم يقول تعالى للملائكة : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر : ٢٩) وفي خلق الوليد الإنساني يقول تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة : ٩)وقوله تعالى : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم : ١٢) وهذه الروح هي من أمر الله تعالى ولا أحد سواه يعرف كنهها، كما يقول عز وجل في الآية السابقة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء : ٨٥)

ثانياً :مفهوم النفس :

المفهوم اللغوي للنفس: النَّفْسُ بتسكين الفاء في اللغة وردت بمعان متقاربة منها النَّفْسُ الدم : يقال سالت نفسه أي سال دمه ، وفي الحديث (ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه) والنَّفْسُ الجسد : ويقولون ثلاثة أَنْفُسٍ فيذكرونه لأنهم يريدون به الإنسان و نَفْسُ الشيء عينه يؤكد به يقال رأيت فلانا نَفْسَهُ وجاءني بنفسه. (١)

والنفس كما يتحدث عنها علم النفس موضع خلاف فبعض الباحثين يعرفون النفس على أساس تركيبي وبعضهم يعرفها على أساس وظيفي .

١) **الأساس التركيبي :** أكثر التوصيفات التركيبية شيوعا للنفس هي ما أشارت إليه مدرسة التحليل النفسي أن اعتبار النفس تركيب من أجزاء هي : الهو- الأنا – الأنا الأعلى (٤) وأن هذا التركيب بمكوناته هو ما يمكن أن نعتبره النفس ومن الطبيعي أن يكون لهذا التركيب البسيط جزئيات وتفريعات وتطويرات تشمل الكثير من الأفكار والمدارس.

٢) **الأساس الوظيفي :** بعض الباحثين يسقطون الجانب التركيبي للنفس نظرا للاختلاف البين في مجاله حيث إنه يضيف تركيبا مجردا لا جسم له.. ويلجأون إلى تعريف النفس باعتبارها التركيب الذي يؤدي الوظائف النفسية الأساسية وهي:

أ. الوظيفة المعرفية بدءا من الإحساس والانتباه والإدراك والتفكير والتصور والتذكر.

ب. الوظيفة الوجدانية بمكوناتها من المشاعر والانفعالات العواطف.

ج. الوظيفة النزوعية بمكوناتها من الحركة والكلام والإرادة القدرات العامة والخاصة والدوافع (٤)

أما النفس في القرآن الكريم فقد وردت مفردة في مائة وست عشرة آية وجمعاً بصيغة نفوس مرتين ، وبصيغة أنفس مائة وثلاثاً وخمسين مرة (٥) وحينما نتدبر سياقها في القرآن الكريم نلاحظ أنها تعني الذات بصفة عامة أي بعنصريها المادي والروحي ، ومن ثم يجوز عليها الموت أو القتل مصداقاً لقوله تعالى : كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (آل عمران : ١٨٥)﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مِوْتِهَا ﴾

لقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر : ٤٢)

ولقوله تعالى ﴿ . . . تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام : **١٥١**) ولقوله عز وجل : ﴿ . . قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾ (الكهف : ٧٤)

تبين هذه الآيات أن النفس ليست مرادفة للروح التي هي سر الحياة . وأن الروح تمتزج إمتزاجاً كاملاً بالجسد فتكون النفس الآدمية . [٧] وقد ذكرت النفس في القرآن الكريم بمفاهيم ثلاثة أساسية وهي :

١. النفس الأمارة بالسوء :مصداقاً لقوله تعالى :﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (يوسف: ٥٣)

٢. النفس اللوامة : وقد أقسم بها الله في قوله تعالى :﴿ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة: ٢)

٣. النفس المطمئنة : لقوله عز وجل﴿ يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾(الفجر : ٢٧ – ٣٠)

إن النفس في القرآن وردت بمفهوم الذات. (٥) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.﴾ سورة البقرة/ ٥٤.

إن علاقة الجسم والنفس علاقة وطيدة لا تنفصم عراها فكلاهما يؤثر في الأخر ويتأثر به، ويظهر دلك بوضوح عندما يمر الإنسان بموقف ضاغط أو بمشكلة ما ويلاحظ ما يحدث لجسمه من تغيرات، حيث تزداد معدلات ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم، وربما تتضاعف مرات التنفس نتيجة لانقباضات عضلية معينة في منطقة الصدر ... وغيرها من التغيرات الفسيولوجية (٦)

إن علماء النفس المحدثين، بتبنيهم مناهج البحث في العلوم الطبيعية، قد حصروا أنفسهم في دراسة الظواهر النفسية التي يمكن فقط ملاحظتها ودراستها دراسة موضوعية، وتجنبوا البحث في كثير من الظواهر النفسية الهامة التي يصعب إخضاعها للملاحظة أو البحث التجريبي. وبذلك أبعدوا النفس ذاتها من دراساتهم ، وقصروا دراساتهم على السلوك الذي يمكن ملاحظته وقياسه . وكان من نتيجة هذا الاتجاه في تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في بحوث علم النفس أن سادت في دراساته وجهة النظر المادية التي ترجع جميع الظواهر النفسية إلى العمليات الفسيولوجية ، مغفلين في كثير من الأحيان الاختلاف الكبير في طبيعة تكوين

الإنسان الذي يتميز عن الحيوان بالعقل والتفكير كما أغفلوا دراسة كثير من الظواهر السلوكية الهامة في الإنسان التي تتناول النواحي الدينية والروحية، والصراع النفسي بين الدوافع البدنية والدوافع الروحية، وتوافق الشخصية عن طريق تحقيق التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان، (١٠) أو أنهم تناولوا الذات الإنسانية بأبعادها بمفهوم النفس أو الشخصية .

إن أبرز ما في الكيان البشري أنه كيان مزدوج الطبيعة ، هذا الازدواج خاصية تفرد بها الإنسان على سائر مخلوقات الله تعالى ، سواء الحيوانات أو الملائكة فالحيوان مخلوق ذو طبيعة واحدة تعمل في اتجاه واحد وهو إشباع حاجاته الجسمية فحسب . أما الملائكة فقد حدثنا القرآن الكريم بأنها سبقت خلق آدم عليه السلام(٧)، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .... ﴾ (البقرة:٣٠) فالملك إذن مخلوق ذو طبيعة واحدة وهو يعيش في نطاق روحه ويطيع أمر الله تعالى بلا إرادة أو تصرف ذاتي، لقوله تعالى ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم :٦) ، فالمخلوق البشري إذن يجمع بين الجسدية الشهوانية (قبضة الطين) وبين النورانية الروحانية (نفخة من روح الله) . وهو مخلوق مزود بقدرات من أبرزها طاقة المعرفة والتي تتمثل في قدرته على التفكر والتدبر مصداقاً لقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩١)

ثالثاً : مفهوم الشخصية:

يقصد بدراسة الشخصية الاهتمام بتلك الصفات الفريدة والمميزة لكل فرد و التي تجعل منه وحدة فريدة في ذاتها ومختلفة عن غيرها وهذا ما يبين قدرة وعظمة الخالق عز وجل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الروم : ٢٢)

الشخص، في اللغة العربية، هو سواد الإنسان وغيره يظهر عن بعد، وقد يراد به الذات المخصوصة، وتشاخص القوم اختلفوا وتفاوتوا ، أما الشخصية فكلمة حديثة الاستعمال لم تجدها الباحثة في أمهات معاجم اللغة العربية، فإذا وجدت في بعض الحديث منها، فهي تعني سمات تميز الشخص من غيره، وكان استعمالها قائمًا علي معني الشخص، أي على معنى كل ما في الإنسان مما يؤلف شخصه الظاهر الذي يرى من بعد، وعلي مفهوم التفاوت [٤] ..ولقد اختلف علماء النفس كثيرًا في تعريف الشخصية فيرى برت Burt أن الشخصية، هي ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية، الثابتة نسبيًا، التي تعدّ مميزًا خاصًا للفرد، والتي يتحدد بمقتضاها أسلوبه الخاص في التكيف مع البيئة المادية والاجتماعية [٧]. أما طلعت منصور فيعرف الشخصية بأنها مجموع الأنشطة التي يمكن اكتشافها عن

طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية بقدر الامكان ، وذلك لكي تعطي معلومات موثوق بها (٨)

وتتميز شخصية المؤمن بسمات معينة ، مستوحاة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ولاشك أن هناك الكثير من السمات التي يتحلى بها الإنسان المسلم والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

أولها :الإيمان بكل أركانه وهي الإيمان بالله تعلى وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : ٢٨٥)

ثانيها : العبادة ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه : ١٤)

ثالثها : التجمل بالأخلاق الفاضلة التي بعث من أجلها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (٧)بكل صورها وعلى رأسها العدالة و تقوى الله مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة : ٨)

ويرى بعض العلماء أن الشخصية في الأعماق بناء ثلاثي التكوين، وأن كل مكون في هذا التكوين يتمتع بسمات خاصة، وأن المكونات الثلاثة تؤلف في

النهاية وحدة متفاعلة ومتماسكة هي الشخصية، وهذه المكونات هي: الهُو – الأنا – الأنا الأعلى. وأن وجود هذه التكوينات في النفس الإنسانية تتوازى مع مفهوم "الهُو" في التحليل النفسي وتعني الجزء من النفس الذي يشمل الغرائز والرغبات وغيرها "والأنا الأعلى" وهو ما يمثل الضمير الذي يشمل نتاج التربية والتعليم من الوالدين للأبناء. ونتاج الاختلاف بين التركيبين النفسيين هو ما تواضع الباحثون على تسميته بالصراع النفسي الذي ينتهي باتخاذ السلوك موقفا إلى جانب أي من الطرفين وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ سورة البلد/ ١٠. و قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ (سورة الإنسان / ٣) وبينما أخذت نظرية التحليل النفسي بحتمية السلوك الإنساني، أخذ الإسلام ، بمنهج اختيارية السلوك كما "قدمنا :﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ سورة البلد / ١٠ ، ومن هنا كانت مسئولية الاختيار تقع على عاتق الإنسان الفرد ، وقد ذهب المفهوم الإسلامي خطوة أوسع فاعتبر أن السلوك هو محل الحكم في قوله تعالى :﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (سورة الواقعة ٨ – ١٠) وفي تقويمنا لسلوك الآخرين فإن الإسلام اتجه إلى التقدير على ظاهر السلوك بينما اتجه التحليل النفسي إلى البحث عن الدوافع وتقويمها في اللاوعي الأمر الذي يوقع الإنسان في كثير من الأخطاء لان ما بالداخل ما هو إلا دليل قطعي عليه. وفي صراع الإنسان النفسي بين النفس

الأمارة واللوامة فإنه يصل في النهاية إلى تغليب جانب الخير في نفسه وهنا يصل إلى درجة من الاطمئنان النفسي يؤكدها إيمانه بالله وغيبه وقضائه وقدره واليوم الآخر والملائكة والنبيين. وهنا تصبح ذاته مطمئنة تستحق أن توصف بلفظ "النفس المطمئنة" فإن النفس المطمئنة هدف يقصده كل إنسان خروجا من الصراع النفسي الذي يعيشه وتقويم القرآن للنفس على أساس أنها الذات قد يلزمنا أن نذكر بعض الشيء عن سيكولوجية الذات كمنهج دراسي . إذ تعتمد مدارس سيكولوجية الذات على القواعد الآتية:

١. الاهتمام بالشعور وشبه الشعور- بدلا من العمق في اللا شعور.
٢. إعطاء الاهتمام الأكثر للذات الشعورية – فهي محور التعامل.
٣. الإنسان طاقة وقدرة يمكن أن يواجه المواقف.
٤. المشكلة الفردية ما هي إلا نتاج تفاعل الجانب الذاتي والبيئي معا. مما يؤكد أهمية الجانب البيئي في الدراسة
٥. الاهتمام بالحاضر في المقام الأول على أساس أنه هو المؤثر الأصيل في المستقبل.

ومن هنا يتضح أن وظيفة الذات تنحصر في العمليات الآتية :

أ. المواءمة بين نزعات الذات العليا و الذات الدنيا.

ب. المواءمة بين الشخصية ككل وبين المجتمع الذي نعيش فيه(٢١).

المبحث الثاني :أبعاد الذات

لقد عالج الإسلام أبعاد الذات الإنسانية بفلسفة تربوية نابعة من خطاب قرآني وسنة نبوية. والملاحظ أن الإسلام اهتم في توجهه التربوي بالكائن البشري ثم حاول ضبط هذا الكائن . وإذا تأملنا بعض نصوص القرآن فإننا نلاحظ تركيزه على مسألة المعرفة : معرفة الله/ معرفة النفس/ معرفة الكون/ معرفة الجنة والنار. وحين تسمح القراءة للإنسان بمعرفة ذاته وربه، فإنها ترقى إلى قراءة أخرى أعمق هي العلم، وبالتالي سيعلم الإنسان مجموعة أشياء كان يجهلها سابقًا ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ

﴿يَعْلَمْ﴾(العلق: ٥) ومنها: كينونته/ وظيفته /اختلافه عن باقي المخلوقات/ حقوقه/ واجباته/ ربه. ثم إن كلمة (عَلّمَ) تعني (لَقّن/ كَوّن/ ربَّى/ صحّح/ أنشأ/ ونقل من حالة إلى أخرى)، وهذه المدلولات تؤكد أن الإنسان ليس سلعة مادية أو رقمًا اقتصاديًا في سوق الإنتاج كما يدعي ماركس وأتباعه، وليس نزوة حيوانية كما يعتقد فرويد [١٩] ، وإنما هو:

جسد: وجود أعضاء وظائفية لها ارتباط بالسلوك.

عقل: يمييزه عن الحيوان.

عاطفة: وجود دوافع بيولوجية وأخرى خارجية.

سلوك: وجود مواقف وأفعال وحركات ذات معنى.

وكثيراً ما توجه آيات القرآن نظر الإنسان لكي يلتفت ويتمعن ويتأمل في أبعاد ذاته : مما تتكون وما العلاقة بين مكوناتها ؟

لقد تجمعت خلاصة ولب جسم الإنسان في البداية من قطرة ماء واحدة . ولاشك أن تطور البنية المعقدة لجسم الإنسان (الذي يملك عقلاً وسمعاً وبصراً ....) من قطرة واحدة شيء محير وغير عادي ، و لكي يدرك الإنسان القدرة غير المتناهية للخالق وعلمه غير المحدود المحيط بالكون، ليقرأ بتدبر وإمعان قوله تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾

(السجدة : ٧- ٩) يتبين لنا من الآيات الكريمة السابقة مراحل خلق الإنسان ، فبداية خلقه من طين ، ثم جعل الله سبحانه وتعالى نسله مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ وفي قوله تعالى ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (المؤمنون :١٤- ١٥) يتبين تحول النطفة إلى علقة ، ثم خلق المضغة عِظَامًا ليأتي بعده اللحم كما تبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ هذا عندما ينتهي كساء العظام باللحم تبدأ مرحلة من المراحل .. أهم ما في هذه المرحلة أن الجنين ينمو ... ينشأ ... يترعرع جسمه وبدنه ويكون أهلا لكي تسكن الروح هذه المرحلة .. فإذا توقفنا عن قوله سبحانه : أنشأناه وجدنا أن ينشأ بمعنى أسكنت فيه الروح وينشأ بمعنى ينمو الجسد ويترعرع وإذا بحثت في لغة العرب عن لفظ يدل على المعنيين : يدل على النمو و النشأة المحدثة لا تجد لفظا غير ينشأ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء ﴾ (الواقعة : ٣٥) ويدل على الخلق وعلى الإيجاد من العدم وفي هذه المرحلة يحدث شيئان : أما البدن فينمو ويترعرع وأما الروح فتنفخ وبهذا تتم النشأة الكاملة للإنسان" ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" (المؤمنون :١٤) بعد خلق الإنسان في هذه المرحلة لا يوجد مخلوق في الوجود يشابهه ، لا حيوان ، ولا نبات ،ولا ملاك ، ولاشيء في الكون مثل هذا الإنسان المكون من مادة وروح .[١٢] لقد جعل الله تعالى جميع أنشطة وفعاليات النمو والتطوير في جسم الإنسان تحت

نظم يسيطر عليها الدماغ، فالدماغ يقيم جميع الرسائل الآتية من مختلف أعضاء الجسم ثم يرسل أنسب الأجوبة وبأقصر وقت إلى الأماكن المناسبة، وهو يستخدم النظام الهرموني كوسيلة في التخابر وفي الاتصال . لقد خلق الله تعالى نظاماً وشبكة بريدية في غاية الروعة وتقوم جزيئات الهرمونات بوظيفة ساعي البريد، فكما يقوم ساعي البريد بالتجول في جميع أنحاء المدينة ناقلاً الرسائل إلى الأماكن المطلوبة، كذلك تقوم الهرمونات بنقل الأوامر الصادرة من الدماغ إلى الخلايا ذات العلاقة . وهكذا تتم في الجسم جميع الفعاليات الضرورية لحياة الإنسان . وتظهر ذلك الترابط القوي الدقيق . فقد ثبت بالتجربة المقارنة أن الاستماع إلى تلاوة القرآن ينتج عنه تغيرات في عدد من الوظائف الحيوية في الجسم البشري؛ والتي يمكن قياسها ورصدها إلكترونيا عن طريقة التصوير الكهربائي (تصوير كيرليان) أن قراءة القرآن تحدث تغيرات إيجابية في مجال الطاقة الكهربائية المغناطيسية المحيطة بالجسم [٢]. وهذه التغيرات يكون لها أثر إيجابي على الذات الإنسانية

إن الواقع الإنساني يبين أن الإنسان يمتلك القدرة العقلية والعاطفية والجسمية وأنه قادر على الاختيار والتمييز و الحكم. وحين كرم الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .... ﴾ [البقرة: ٣٠] وفي قوله عز و جل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨ .

٢٩] إنما هو دليل على قيمة الصورة الخلقية فتبارك الله أحسن الخالقين. وتظهر الميزة العقلية التي كرم بها الله الإنسان في نقله من ظلمة الأمية إلى نور المعرفة ومن ظلام الجاهلية والبهيمية إلى نور العلم والإيمان. ففي سورة الجن نلاحظ هذا التحول ﴿ . . . إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾ الجن ١ – ٢) في السابق طرائق قدد فتحولوا إلى الهدى والتوحد حول الحق .فالإنسان حين يمتلك المعرفة من مصدرها القرآني بالعين والصورة والسمع، والترغيب والترهيب، فإنه سيكتشف حقيقة وجوده ووظائفه.[١٩] ويبصر القرآن الكريم الإنسان في قوامه وتركيبه الإنساني بالحقائق التالية :

- حقيقة خلق الإنسان من طين. مصداق قوله تعالى في سورة ص: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ ﴾ الآية ٧١.
- حقيقة سلالته من ماء مهين
- حقيقة خلق الإنسان أطواراً، مصداقاً لقوله تعالى في سورة نوح: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ (الآية : ١٤)
- حقيقة خلق كل شيء من ماء، مصداقاً لقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الآية ٣٠.

أن الإنسان هو ذلك المخلوق المكرم على سائر المخلوقات الأخرى وإنه ذاك الذي أسجد الله له الملائكة، وهو الذي شرفه الله بمهمة الاستخلاف، ليكون السبب الذي يُجري من خلاله الله عدله ورحمته وأنه المخلوق الوحيد الذي جهزه الله بالعقل والاستعدادات المتميزة، (٢٠)

عنى القرآن الكريم عناية كبيرة بعقل الإنسان وبذاته العلمية وحث الناس على التعلم وتحصيل العلم. ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت من القرآن الكريم كانت تدعو إلى القراءة والتعلم ، وتشيد بشأن القلم وهو الأداة التي علّم بها الله سبحانه وتعالى الإنسان الكتابة، وعلمه ما لم يكن يعلم من العلوم.

قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي * عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ١- ٥) يحتل لفظ (القلم) دلالة بالغة في الآية رقم ٤، فهو وسيلة للتدوين والحجة. و إنه الذاكرة الثانية بعد العقل، كما أنه جاء القلم كناية عن تنظيم المعرفة والانتقال بها من السماع إلى التدوين حتى يربط الإنسان بالممارسة الدائمة.

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم أداة الكتابة تكريما لشأن القلم والكتابة، وتنويها بفضلهما في عملية التعلم وتحصيل العلم.قال تعالى" ن والقلم وما يسطرون"(القلم : ١)

وقد أشاد القرآن الكريم بفضل العلم، وكرم العلماء، ورفع من شأنهم، ووضع العلم في مرتبة عالية كمرتبة الإيمان. وقال تعالى :﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة :١١)

ولا أدل على تكريم القرآن للعلم والعلماء من ذكره "لأولي العلم " بعد " الملائكة " في الإقرار بوحدانية الله تعالى وبعدله وقدرته وحكمته في الآية التالية: " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم" ومن أدلة تكريم الله تعالى للعلم وإشادته بفضله أنه جل شأنه طلب من النبي صلوات الله عليه وسلامه أن يدعوه بالاستزادة من العلم في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ (سورة: طه – الأية: ١١٤)

فالعلم والحكمة نعمتان من نعم الله العظيمة على الإنسان يخص بهما من يشاء من عباده المؤمنين الصالحين.

قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (سورة: البقرة – الأية: ٢٦٩)

وكانت نعمة العلم والحكمة من أهم النعم التي أنعم الله تعالى بها على أصفيائه من الأنبياء والمرسلين كما أشارت إلى ذلك كثير من آيات القرآن الكريم. وحث القرآن الكريم الإنسان أيضا على التفكير في نفسه، وفي عجيب خلقه، ودقة تكوينه، وهو بذلك يدفع الناس إلى دراسة النفس ومعرفة أسرارها. فمعرفة النفس تؤدي إلى معرفة

الله سبحانه وتعالى [١٠] كما نجد أن القرآن تحدث عن المعرفة وأدواتها قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل : ٧٨.) . و جعل القرآن الدليل طريقاً إلى مخاطبة العقل، عن طريق القضايا البرهانية، وضرب الأمثال المختلفة كما في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٣)، ﴿ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر : ٢١)

إن الدين الإسلامي لا يكتفي بمخاطبة الجانب العقلي عند الإنسان، وإنما يخاطب أيضا الجانب الروحي ويتحدث مع كل جانب بما يناسبه من المفردات ويتوافق مع طبيعته واستعداده ليستطيع الولوج إلى عالمه وتفعيله.وخاطب الجانب الروحي بخطابات تتماشى مع طبيعته وجبلّته وقدرته الإستعدادية على التفاعل معها فجعل النفس الإنسانية محور الخطاب ومركز التوجيه والبعث محاولاً إيقاظ هذا الجانب والدخول إلى مكامن النفس وعالمها الغامض عن طريق الحديث عن الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها في فوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم، الآية ٣٠) وقوله تعالى ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ (إبراهيم: ١٠.). ويمكن إرجاع هدف القرآن من كل ذلك العمل على بعث الإنسان نحو الهدف الأسمى وهو الغاية من الكدح

في هذه الحياة لقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ ﴾ (الانشقاق: ٦) وبهذا يتحقق كمال الإنسان. و الإنسان – بذلك ، هو الوحيد القادر على تحقيق الذات والتكامل – المعرفي وغيره – كما في قوله تعالى: ﴿ . . وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل : ٧٨) عن طريق تفعيل هذه الأدوات وفي سبيل إثارة عقل الإنسان وإزالة الموانع والمعوقات النفسية وهناك مسؤوليات على الإنسان أن يقوم بها في حياته ايّاً كان انتماؤه من مثل مسؤولية الحفاظ على الذات؛ فكل إنسان مسئول عن نفسه بأن يحافظ عليها، ولا يدع الخطر يحدق بها، والذي لا يلتزم بواجبات هذه المسؤوليّة فانه متّهم في بشريته وانسانيته، اذ أنها ترتبط بطبيعة الإنسان ككائن حيّ يعيش على هذه الارض. والمسؤولية الاخرى هي مسؤوليّة العلم التي تشبه مسؤوليّة الحفاظ على الحياة لسببين:

١. انّ هذه المسؤوليّة جزء لا يتجزأ من المسؤولية الاولى، فالعلم هو الذي يدفع عنك الاخطار وهو الذي يزيل المشاكل، فالذي يعرف الطريق لا يمكن ان يضلّ ويتيه فتحدق به الاخطار، هكذا فانّ المعرفة هي التي تجنّب الإنسان الاخطار المحيطة به .

٢. انّ العلم جزء من كيان الإنسان، فانسانيته ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلم، فالإنسان مسؤول عن تعلّمه الذاتي. (١١)

المبحث الثالث :- سيكولوجية الذات

لقد حاولت بحوث علمية على اختلاف فروعها اكتشاف الذات الإنسانية التي أصبحت موضوعًا للدراسة. باعتبار الانسان شتاتًا من العناصر التي تتحكم في بنيته العضوية والنفسية : فالبيولوجيا نظرت إلى الإنسان كعناصر عضوية هي التي تتحكم في قواه العقلية والعاطفية. والسيكولوجيا نظرت إليه بمثابة خزان من ردود الأفعال نحو مثيرات خارجية أو غرائزية، كما أن علم الاجتماع فسر الإنسان انطلاقًا من بنى اجتماعية تحتية هي التي توجه سلوكه اللغوي والعلائقي مع الآخر، في حين اعتبر علم الأجناس الإنسان عبارة عن حمولة من الموروثات العضوية والعوائدية، إلى غير ذلك من فروع المعرفة العلمية الأخرى .[١٩] وقد اتفقت جل هذه العلوم حول مسألة واحدة هي غموض هذا الكائن وغرائبية سلوكاته سواء الغريزية أو المكتسبة . ولذلك اعترفت هذه العلوم بصعوبة امتلاك الخصائص التي تكوّن الفرد وصعوبة التحكم فيها أو توجيهها بشكل مبسط .ويمكن تفسير هذا اللغز والغموض في

الظاهرة البشرية بكون الإنسان معجزة إلهية في طبيعة الصنع الخارجي، وفي الآليات الداخلية العصابية والعقلية والنفسية. ولذلك نجد في القرآن الكريم تذكيرًا أكثر من مرة بأصل الإنسان وبمراحل الحمل والولادة ثم الموت والبعث. وهذا التحكم الرباني في الإنسان يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(ق: ١٦) ثم إن السؤال التقريري في قوله عز وجل:﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ﴾ يؤكد أن هذه الأعضاء الخلْقية هي مصدر التحرك السلوكي . فالعين ليست فقط وسيلة للمشاهدة ولكنها كذلك عقله الذي يرى به وعاطفته التي تحيي إليه اللذة وتشكل مجموعة مواقف عصبية.في حين يبقى اللسان هو الأداة التي تنقل إلى الآخرين لغة العين من الناحية المرئية و التأملية. وبذلك نجد أن العين في القرآن الكريم تصبح حجة على صاحبها يوم القيامة: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء :٣٦) لقد زودنا الله سبحانه وتعالى بإمكانات وطاقات علينا أن نؤمن بها فقد قال سبحانه تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾. (الذاريات :٢١)، و قال سبحانه تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سورة فصلت:٥٣).

تقويم الذات :

إن من نعم الله على العبد أن يهبه المقدرة على معرفة ذاته، والقدرة على وضعها في الموضع اللائق بها، إذ أنَّ جهل الإنسان نفسه وعدم معرفته بقدراته يجعله يقوِّم ذاته تقويماً خاطئاً فإما أن يعطيها أكثر مما تستحق فيثقل كاهلها، وإما أن يزدري ذاته ويقلل من قيمتها فيسقط نفسه. والشعور السيئ عن النفس له تأثير كبير في تدمير الإيجابيات التي يملكها الشخص، فالمشاعر والأحاسيس التي نملكها تجاه أنفسنا هي التي تكسبنا الشخصية القوية المتميزة أو تجعلنا سلبيين خاملين؛ إذ أن عطاءنا وإنتاجنا يتأثر سلباً وإيجاباً بتقديرنا لذواتنا. وتقويم الذات: يستند على نموذج لقياس الذات السوية و النموذج المحدد في الإسلام هو شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم [٤] في قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الأحزاب/ ٢١)

إن الذات: هي الجهاز المنظم للشخصية كما أنها الجزء الواعي منها والذي يمكن أن يوجه إليه الجهد لتستعيد الشخصية قوتها وحيويتها ، وهي نظرة الفرد إلى نفسه وهي تتضمن الوصف وليس الحكم وتتشكل هذه النظرة من خلال تفاعل مجموعة من العوامل أبرزها الخبرة مع البيئة المحيطة وعلاقته مع الآخرين إضافة إلى تفسيره لسلوكه الذي يقوم به [٩] هو أيضاً تقدير الفرد لقيمته ولأهميته مما يشكل دافعا لتوليد مشاعر الفخر والإنجاز واحترام النفس وتجنب الخبرات التي تسبب شعورا بالنقص، وعندما نتكلم عن التقدير الذاتي فإننا نقصد الأشخاص الذين لديهم شعور جيد حول أنفسهم.وهناك كثير من التعريفات لتقدير الذات، والتي تشترك في

طريقة معاملتك لنفسك واحترامها، فهو مجموعة من القيم والتفكير والمشاعر الإيجابية التي يملكها الفرد حول نفسه . وبناء وتقوية الذات ، يعتمد على الممارسة لنصل إلى الإدراك ونحس بالمشاعر ونقوم بالتصرف بكفاءة عالية. (٢١)

إن حقيقة الاحترام والتقدير رغم تأثرها بالعوامل المحيطة إلا أنها بداية تنبع من النفس؛ والإنسان الذي يعتمد على الآخرين في تقدير ذاته قد يفقد يوماً هذه العوامل الخارجية التي يستمد منها قيمته وتقديره وبالتالي يفقد معها ذاته، لذا لابد أن ينبعث الشعور بالتقدير من ذاتك وليس من مصدر خارجي يُمنح لك، فإذا اخترنا لأنفسنا التقدير وأكسبناها الاحترام فإننا اخترنا لها الطريق المحفز لبناء التقدير الذاتي. (١٨) أن صور تقدير الذات تعتبر محتوى يدل على مفهوم الشخص وإدراكه لذاته وتقدير الذات ليس شيئاً منفصلاً عن الأداء المدرسي في القراءة والكتابة والحساب والمهارات الاجتماعية والطبيعية وإنما يكون متكاملاً معها . ويعرف حامد زهران مفهوم الذات تعريفاً نفسياً بأنه : مكون معرفي منظم ، وموحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتعميمات الخاصة بالذات ، يبلوره الفرد . وأشار إلى أن مفهوم الذات تركيب يعرض تنظيم الخبرات ويوجب العمل . وأنه تركيب ديناميكي يكتسب باستمرار معارف جديدة مرتبطة بالمعارف القائمة والموجودة عن الذات (٣)

.

من خلال نظرتنا إلى النفس البشرية نجد أن لها قيمتها الكبرى، وأن الله أودع فيها من الطاقات والقدرات العظيمة التي استحقت بها الاستخلاف في الأرض، وأن الله .

تعالى ـ قد كرم الإنسان وفضله على سائر خلقه، من خلال هذه النظرة فإن على كل منا أن يحاول أن يستمسك بهذا الموقف من النظرة الإيجابية غير المشروطة تجاه نفسه وعندما يقدر الإنسان ذاته لا نعتبر ذلك من الأنانية وحب الذات، بل بالعكس فإن تقديرنا لأنفسنا يقدم لنا الأساس لكي نكون كرماء ومنتجين مع الآخرين، فالشعور بالذنب والحاجة الدائمة للاطمئنان من الآخرين إنما يقودنا إلى حب الذات وإلى الأنانية وإلى انعدام السعادة . (٩) ومن هنا يقسم علماء النفس التقدير الذاتي إلى قسمين:

١ – التقدير الذاتي المكتسب: وهو التقدير الذاتي الذي يكتسبه الشخص خلال إنجازاته، فيحصل الرضى بقدر ما أدى من نجاحات. فيبنى التقدير الذاتي على ما يحصله من إنجازات.

٢ـ التقدير الذاتي الشامل: يعود إلى الحس العام للافتخار بالذات، فليس مبنيا أساساً على مهارة محددة أو إنجازات معينة. فهو يعني أن الأشخاص الذين أخفقوا في حياتهم العملية لا يزالون ينعمون بدفء التقدير الذاتي العام، وحتى وإن أغلق في وجوههم باب الاكتساب.

والاختلاف الأساسي بين المكتسب والشامل يكمن في التحصيل والإنجاز الأكاديمي، ففكرة التقدير الذاتي المكتسب تقول: إن الإنجاز يأتي أولاً ثم يتبعه التقدير الذاتي. بينما فكرة التقدير الذاتي الشامل تقول: إن التقدير الذاتي يكون أولاً ثم يتبعه التحصيل والإنجاز. (١٥)

ويرى مؤيدو التقدير الذاتي المكتسب: أن التقدير الذاتي الشامل ذو تأثير سلبي؛ فزيادة الثقة تؤدي إلى المبالغة وهذا يؤدي إلى الشك الذاتي. بينما التقدير الذاتي المكتسب يمكن الفرد من الاهتمام بذاته، فهو ينمو طبيعياً وخصوصاً عندما ينجز شيئاً ذا قيمة. بينما يحتاج الشامل لتفعيل ما لديه، فلا بد من تدخل المعلم والوالدين والأشخاص المحيطين به، ليس فقط مجرد تشجيع وإنما قد يضطرون لخداعه بأن ما يفعله يستحق التقدير والثناء ، يشير تقدير الذات لهذه الصورة عن أنفسنا التي يحملها كل منا في رأسه، وهذه الصورة تتكون من خلال خبراتنا وتتأثر بقوة بالرسائل التي نتلقاها من الآخرين ، والطريقة التي ينظر بها الإنسان لنفسه تؤثر في كل نواحي حياته، فالتقدير الجيد للذات يعني شعورا بالحب والتقبل، ويعني ثقة وإقبالا على المحاولات الجديدة، ويعني علاقات جيدة مع الآخرين، ويعني أداء حسنًا في المدرسة والحياة بوجه عام، باختصار يعني حياة أجود وأهدافًا تسير نحو التحقيق وإنجازًا أكبر؛ ولذا يعتبر بناء احترام الذات لدى الطفل أول مهام الوالدية في عالم اليوم.. وللحق فإننا نبني أنفسنا وأبناءنا على التوازي ويمكننا السير نحو احترام الذات من خلال أربع قنوات:

١. الحب والتقبل والتشجيع.
٢. النجاح والإنجاز.
٣. الاتصال الجيد.
٤. التعرف على النفس عن قرب (الأفكار ـ المشاعر).

أن لكل منا قيمة في هذه الحياة، وأن الله خلقنا وكرمنا وحملنا في البر والبحر وسخر لنا الدواب والماء والرياح، وأسجد لنا الملائكة وأقسم بنفوسنا فقال: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (الشمس:٧)

فكيف لا تكون لنا قيمة؟

كثير من الأمور قد يخطئ فيها الإنسان، ولكن لا يجب أن نجعل الأخطاء وسيلة لكي نهدم بها ذواتنا، بل الواجب أن نصحح الخطأ بسرعة، وأن نعتبر أن الإنسان دائمًا يخطئ، لكن الإنسان الواعي يسارع إلى تلافي الأخطاء وتحويلها إلى خبرات ومهارات يمكن الاستفادة منها في المستقبل، وهذا هو المنهج الرباني في التعامل مع الأخطاء، فها هم الصحابة في غزوة أحد يخطئون ويخالفون أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وها هو القرآن ينزل يُقرّعهم على فعلتهم ويوبخهم على أخطائهم، ولكن يربت على ظهورهم بعد ذلك ويقول لهم عز وجل: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٩]

ـ فالإنسان يحاسب نفسه ولكن يحاسبها الحساب الإيجابي الذي يولد العمل والإنجاز والثقة بالذات، وليس المقت السلبي الذي يورث القلق والفزع واحتقار الذات والصراع معها.

ـ إن الإحساس بتدني قيمة الذات يعمل على تآكل الحياة، ويجعل الإنسان ينزلق إلى ما هو أسوء مع اليأس والإحباط، ولكن نظرة الاحترام إلى الذات تدفع الإنسان إلى معالي الأمور والحذر من الوقوع في الزلل. (١٨)

نقص تقدير الذات

تشير الدراسات أن قرابة ٩٥% من الناس يشكّون أو يقللون من قيمة ذواتهم وهم بهذا يدفعون الثمن عملياً في كل حقل يعملون فيه، فهؤلاء الذين يقارنون أنفسهم بالآخرين ويعتقدون أن الآخرين يعملون أفضل منهم وأنهم ينجزون ما يسند إليهم بيسر، فهم بهذه النظرة يدمرون ذواتهم ويقضون على ما لديهم من قدرات وطاقات. وقد يؤدي بهم ذلك إلى الاكتئاب والقلق وكثير من حالات الاكتئاب والأمراض التي لها علاقة بالازدراء الذاتي. وكان جيمس باتيل (١٩٨٠م) من الأوائل الذين قرروا قوة الترابط بين الاكتئاب والازدراء الذاتي، فلقد اكتشف إنه عند ازدياد الاكتئاب؛ فإن تقدير الذات يقل، والعكس بالعكس ولعلاج حالات الاكتئاب تتم تنمية المهارات الفردية في رفع مستوى تقدير الذات. يتبرمج بعض الناس منذ الصغر على أن يتصرفوا أو يتكلموا أو يعتقدوا بطريقة سلبية، وتكبر معهم حتى يصبحوا سجناء ما يسمى (بالبرمجة السلبية) التي تحد من حصولهم على أشياء كثيرة في هذه الحياة. فنجد كثيرا منهم يقول أنا ضعيف الشخصية، أنا لا أستطيع الامتناع عن التدخين ، أنا ضعيف في الإملاء ، أنا ..... ونجد أنهم اكتسبوا هذه السلبية إما من الأسرة أو من المدرسة أومن الأصحاب أو من هؤلاء جميعا. وينبغي توضيح بعض الحقائق

العلمية نحو عقل الإنسان ونركز على العقل الباطن، إن العقل الباطن لا يعقل الأشياء كالعقل الواعي فهو ببساطة يخزن المعلومات ويقوم بتكرارها فيما بعد وذلك كلما تم استدعاؤها من مكان تخزينها، فلو حدث أن رسالة تبرمجت في هذا العقل لمدة طويلة ولمرات عديدة مثل أن تقول دائما في كل موقف ... أنا خجول أنا خجول ... أنا عصبي المزاج، فإن مثل هذه الرسائل سترسخ وتستقر في مستوى عميق في العقل الباطن وعادة الأشخاص الذين لديهم ازدراء الذات يستجيبون إلى ظروف الحياة ومتغيراتها بأحدى طريقتين

– الشعور بالنقص تجاه أنفسهم: يشكون في قدراتهم لذلك يبذلون قليلاً من الجهد في أنشطتهم، وهم يعتمدون بكثرة على الآخرين لملاحظة أعمالهم، وغالباً ما يلومون أنفسهم عند حدوث خطأ ما، ويمنحون الثناء للآخرين في حالة حدوث النجاح، وعند الثناء عليهم يشعرون بارتباك في قبول هذا الثناء والإطراء، فالمدح يسبب لهم حرجا ؛ لأن لديهم شعور بأنهم يكذبون أو أنهم دجالون في حياتهم. وهذا الشعور مدمر، مهلك لهم فعند شتمهم أو إهانتهم لا يدافعون عن أنفسهم لأنهم يشعرون أنهم يستحقون ذلك.

– الشعور بالغضب وإرادة الثأر من العالم: فهم غالباً ما يعانون من مشاكل في أعمالهم وفي مسكنهم مما قد يسبب لهم في النهاية مرضاً نفسياً وعضوياً ورغبة في محاولة الانتقام من العالم. وتراهم دائماً يبحثون عن الأخطاء، ولا يرون إلا

السلبيات، ويجدون سروراً غامراً لأخطاء الآخرين ومشاكلهم . ويمكن ملاحظة هؤلاء من السلبيات التالية :

- إحتقار الذات أو عدم معرفة الإجابة عند حصول الإطراء والثناء.
- الشعور بالذنب دائماً، حتى ولو لم يكن هناك علاقة بالخطأ.
- الاعتذار المستمر عن كل شيء.
- الاعتقاد بعدم الاستحقاق لهذه المكانة أو العمل وإن كان الآخرون يرون ذلك.
- عدم الشعور بالكفاءة في دور الأبوة أو في دور الزوجية.
- يميلون إلى سحب أو تعديل رأيهم خوفاً من سخرية ورفض الآخرين.
- أظهرت الدراسات أنهم يحملون أنفسهم على التميز فتراهم يمشون ببطء مطأطئين رؤوسهم بحيث يبدون غرباء على العالم، يحاولون الانكماش على أنفسهم فلا يريدون أن يراهم الآخرون.

نتائج قلّة تقدير الذّات : يؤدي عدم احترام الذّات إلى نتائج سلبية كثيرة من أبرزها:

- القلق، التّوتّر.
- الشعور بالوحدة.
- الاحتمال المتزايد للاكتئاب .
- يسبّب المشاكل بالصّداقات والعلاقات .
- إفساد العمل وتدني التحصيل الأكاديمي.

- عادات سيئة كالتدخين وغيره. (٢١)

العلاقة بين تقدير الذات والتحصيل المدرسي والنجاح

لقد حاولت العديد من الدراسات معرفة العلاقة بين تقدير الذات والتحصيل الدراسي ، فهناك دراسات وجدت علاقة إيجابية بين تقدير الذات والتحصيل منها دراسة (ليلى عبد الحميد) التي أشارت إلى أن النجاح يجعل التلميذ يرضى عن نفسه ويقدرها ، ويمكن اعتبار النجاح حافزاً يرفع من تقويم التلميذ لنفسه وبالتالي يؤثر تأثيراً إيجابياً في تقديره لذاته بينما رسوب التلميذ وفشله الدراسي يجعله يشعر بعدم الكفاءة ويضعف ثقته في نفسه كما تبدو إنجازاته وطموحاته وطاقته الحيوية محدودة للغاية ومن ثم يفتقر إلى تقدير ذاته واحترامه لها. أوضحت دراسة Wang & et al, ١٩٨٩. ٣١٤ أن جزءاً كبيراً من مفهوم الذات يتشكل من خلال تفاعلاته مع الآخرين ، ويعتمد على توقعات المجتمع منه وينعكس على سلوكه ، ومن ثم فإن توافقه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنمو مفهوم الذات الإيجابية لديه (١٦) . إن تقدير الذات المنخفض يؤدي إلى انخفاض التحصيل الدراسي ، كما أن انخفاض التحصيل الدراسي يؤدي إلى انخفاض تقدير الذات ، فالعلاقة بين تقدير الذات وبين التحصيل الدراسي تبدأ آثارها على التلميذ حتى قبل أن يلتحق بالمدرسة . (١٤) ، كما توصلت مجموعة من الدراسات إلى أن هناك علاقة طردية ذات دلالة بين مفهوم تقدير الذات والتحصيل المدرسي، وتنخفض هذه العلاقة في مرحلة ما قبل المدرسة وتتصاعد في المدارس الابتدائية والثانوية. ويتم تشكيل مفهوم تقدير

الذات في مراحل مبكرة من عمر الطالب وقد تبين أن الأطفال الذين يظهرون تقدير ذات عاليا عاشوا في الأصل مع آباء وأمهات لديهم تقدير ذات عال فكان الأهل نموذجا لهم، وبالمقابل فإن المعلم نموذج للطالب فالتقدير العالي للذات عند المعلم ينعكس على الطلاب إيجابيا ، وهناك اتفاق بين الباحثين عن وجود علاقة بين تقدير الذات والنجاح، ولكن الاختلاف القائم هو عن طبيعة هذه العلاقة، فهل لابد أن يكون الشخص محققا لنجاح لكي يكون لديه الإيجابية في تقدير ذاته. أو أن احترام الذات يسبق النجاح. والحقيقة أنها علاقة تبادلية، مع أنه لابد من الاعتراف بأن الاعتداد بالذات واحترامها وتقديرها مطلب لكي يتم النجاح في الحقل العلمي، وهذا النجاح بالتالي يؤدي إلى زيادة تقدير الذات. فكل منهما يغذي الآخر (١٥)

نتائج الدراسة

تتحدد نتائج الدراسة من خلال الإجابة على تساؤلاتها ، وللإجابة على سؤال الدراسة الذي ينص على :

هل توجد فروق جوهرية بين مفهوم كل من النفس و الروح في القران الكريم ؟

نجد أن القرآن الكريم يفرق بين النفس و الروح ، فليستا مترا دفتين . وقد وردت الروح في القرآن الكريم بمعني السر الإلهي الذي تصير به المادة الآدمية .وأن الروح هي من أمر الله تعالى ولا أحد سواه يعرف كنهها ، فالروح وردت في القرآن إحدى وعشرين مرة (٥) منها ما يعني أمين الوحي لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ

الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء : ١٩٢- ١٩٥) ولقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل :١٠٢)، كما أن استخدام كلمة النفس في القرآن الكريم لا تعني الروح بل تعني الشخصية الإنسانية وهذا التوجه أو التحليل الأخير هو بمثابة المدخل الأول إلى علم الشخصية الإنسانية أو علم النفس الحديث كما جرت العادة على ترجمته واستخدامه ، والنفس كما يتحدث عنها علم النفس موضع خلاف فبعض الباحثين يعرفون النفس على أساس تركيبي وبعضهم يعرفها على أساس وظيفي ، أما النفس في القرآن الكريم فقد وردت مفردة في مائة وست عشرة آية وجمعاً بصيغة نفوس مرتين ، وبصيغة أنفس مائة وثلاثاً وخمسين مرة وحينما نتدبر سياقها في القرآن الكريم نلاحظ أنها تعني الذات بصفة عامة أي بعنصريها المادي والروحي ، ومن ثم يجوز عليها الموت.

تبين هذه الآيات أن النفس ليست مرادفة للروح التي هي سر الحياة . وأن الروح تمتزج إمتزاجاً كاملاً بالجسد فتكون النفس الآدمية . وقد ذكرت النفس في القرآن الكريم بأنواع ثلاثة وهي :

١. النفس الأمارة بالسوء ٢. النفس اللوامة ٣. النفس المطمئنة .

كما أن النفس في القرآن وردت بمفهوم الذات

وللإجابة على سؤال الدراسة الذي ينص على : ما أبعاد الذات الإنسانية في القرآن الكريم ؟

من خلال العرض السابق يبين لنا القرآن الكريم الذات الإنسانية ويحددها بأربعة أبعاد هي :- الجسم، العقل، الروح، والنفس ، وبمعنى آخر هي :

١. جسد: وجود أعضاء وظائفية لها ارتباط بالسلوك.
٢. عقل: يمييزه عن الحيوان.
٣. عاطفة: وجود دوافع بيولوجية وأخرى خارجية.
٤. سلوك: وجود مواقف وأفعال وحركات ذات معنى

وللإجابة على سؤال الدراسة الذي ينص على : ما التصور الإسلامي للذات الإنسانية ؟

فإن الإسلام قد حدد بعمق مفهوم الذات الإنسانية وشرح آلياتها وفسر عناصرها ومكوناتها.

خلقٌ من قبضة من طين ونفخة من روح الله تعالى ، و يقرر العلم الحديث أن جسم الإنسان يتكون من نفس العناصر التي يتكون منها طين الأرض ، مثل الأكسجين و الإيدروجين و الكربون و الحديد والكالسيوم إلى غير ذلك من العناصر التي تتكون منها تربة الأرض . وقبضة الطين هذه التي خلق منها الإنسان تتمثل في مختلف مطالب الجسم الحيوية اللازمة لحفظ بقائه. هذا يمثل الجانب المادي من الإنسان ، أما الجانب الروحاني للإنسان (نفخة من روح الله) فيتمثل في كل

المعنويات التي يمارسها في حياته فالخير والبر والرحمة والتعاون والإخاء والمودة والصدق والأمانة والعدل والإيمان بالله تعالى وبكل المثل العليا والعمل على تحقيقها في واقع حياته كل ذلك سلوكات روحانية معنوية غير مادية أي لا تدركها الحواس ولكن يستدل عليها من آثارها في الواقع المحسوس ثم أكد الإسلام على المعرفة، فقد ربطها بالآخرة بحيث يصبح العلم بالشيء فضيلة مزدوجة ويصبح الإنسان مطالبًا بتخليق سلوكاته وعلاقاته الخاصة والعامة، وتصبح الحاجة إلى التعلم والعلم ضرورة دنيوية وفضيلة خلقية ، ويبقى الإنسان في التصور الإسلامي هو ذلك الكائن الاجتماعي المكون من جسد وظائفي وعقل تمييزي وحشد من العواطف والأحاسيس والرغبات المشروطة بأخلاق فاضلة ومعرفة بالذات والله تعالى والكون عامة. فالذات الإنسانية من حيث تكوينها الذاتي كائن من تراب يستمر توالده من ماء مهين ، غير أن الله سبحانه وتعالى لما شاء له أن يكون خليفة في الأرض وكلفه بعمارتها أورثه العقل والتفكير وكثيراً ما توجه آيات القرآن نظر الإنسان لكي يلتفت ويتمعن ويتأمل في أبعاد ذاته : ممّ تتكون وما العلاقة بين مكوناتها ؟ لقد تجمعت خلاصة ولب وجسم الإنسان في البداية من قطرة ماء واحدة . ولاشك أن تطور البنية المعقدة لجسم الإنسان (الذي يملك عقلاً وسمعاً وبصراً ..... يترعرع جسمه وبدنه ويكون أهلا لكي تسكن الروح (مادة وروح) ويبصر القرآن الكريم الإنسان في قوامه وتركيبه الإنساني بالحقائق التالية :

- حقيقة خلق الإنسان من طين.

- حقيقة سلالته من ماء مهين .
- حقيقة خلق الإنسان أطواراً .
- حقيقة خلق كل شيء من ماء .

المصادر :-

أولاً : المراجع العربية

الكتب

١) الرازي ، محمد أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح ، تحقيق شهاب الدين أبي عمر مصطفى الباز . دار الفكر بيروت / لبنان ١٩٩٣م

٢) الزندانى ، الشيخ عبد المجيد : آيات الله في خلق الإنسان – العلم طريق الإيمان [بدون]

٣) زهران ، حامد . علم نفس النمو والطفولة والمراهقة ، ط ٢ . القاهرة : عالم الكتب القاهرة ١٩٩٠م.

٤) شاهين ، عمر .الإسلام والصحة النفسية ، مصر [بدون]

٥) عبد الرحمن ، عائشة محمد: مقال في الإنسان دراسة قرآنية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م

٦) قطب ، محمد :دراسات في النفس الإنسانية . دار الشروق ، بيروت / ١٩٧٤م

٧) محمد ، محمد محمود : علم النفس المعاصر في ضوء الاسلام– الطبعة الاولى – دار الشروق للطباعة والنشر– جدة المملكة العربية السعودية ١٩٨٤م

٨) منصور ، طلعت وآخرون : أسس علم النفس العام . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة / ١٩٧٨

٩) موسى ، كمال إبراهيم : المدخل إلى علم الصحة النفسية – دار القلم للنشر – الكويت / ١٩٨٨م

١٠) نجاتي ، محمد عثمان : القرآن و علم النفس – الطبعة الثانية – دار الشروق ، بيروت

الدوريات:

١١) القاضي ،أحمد : اكتشاف الذات خطوة كبيرة نحو النجاح: صحيفة الهدى اسبوعية عامة – العدد الثالث عشر – ١٥ صفر لعام ١٤٢٦ هـ

١٢) القبانجي ، علاء الدين ناصر : معالم علم النفس في القرآن – مجلة النبأ – العدد٤٣ ، الاستشارات النفسية والسيكولوجية ١٩ / ١٠/١٤٢٥ هـ

١٣) القبانجي ، علاء الدين ناصر: – معالم علم النفس في القرآن – مجلة النبأ _ العدد ٤٦ – المستقبل للثقافة والأعلام – ربيع الأول ١٤٢١هـ

الدراسات والبحوث :

١٤) الربيعي ، هدى تركي : أثر البيئة الفيزيقية للصف في مفهوم الذات ، دراسة منشورة مجلة العلوم التربوية والنفسية ،المجلد الرابع العدد الثاني كلية التربية جامعة البحرين ٢٠٠٣م

١٥) الشيخ ، بدور الفاضل : تطوير مقاييس لتقدير الذات وحافز التحصيل – رسالة دكتوراه غير منشورة – جامعة أمدرمان الإسلامية ٢٠٠٤م

١٦) بيومي محمد : تقدير الذات لدى التلاميذ ذوي التحصيل الدراسي ، من دراسات وبحوث المؤتمر الخامس لعلم النفس في مصر الذي عقدته كلية التربية جامعة طنطا ، يناير ١٩٨٩م .

١٧) صواب ، صالح يحي : القلق اسبابه وعلاجه في ضوء القرآن الكريم – دراسة منشورة – مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم – العدد الأول فبراير ٢٠٠٣م

ثانياً : مواقع الإنترنت:

١٨) مفكرة الإسلام : تقدير الذات إدارة العقل – موقع إذاعة القرآن ٢٠٠٥/٣/٢ م

١٩) ملاك المصطفى : الطبيعة الإنسانية في التصور الإسلامي –المغرب ، باب المقال الموقع العربي العملاق .

٢٠) يوسف همام : على طريق بناء الذات الإسلامية – إدارة الدراسات –شبكة المعلومات ٢٠٠٥/٤/٢م

٢١) فيلما المعايطة : تقدير الذات ، مجلة المعلم – إلكترونية ،شبكة المعلومات ، ٢٠٠٥/١/١٢م

http://www.holol.net/show_article_main.cfm?id=١٤
http://www.islamonline.net/arabic/adam/٢٠٠٣/٠٤/article١٦.shtml
http://www.almualem.net/maga/that٠٩٠.htm
http://www.annabaa.org/nba٤٦/nafs.htm
http://www.islamset.com/arabic/ahip/alkade١.html

http://www.arabpsynet.com/Books/Najati.B٧.htm
http://www.bab.com/articles/full_article١٠/٠٤/٢٠٠٥.cfm?id=٧٦١٠
http://www.islamset.com/arabic/ahip/psycho/shahen.html
http://www.quran-radio.com/edara١٥.htm
http://www.almualem.net/maga/that٠٩٠.html
http://www.jamaaway.org/esdar/book٩.htm